خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٩/٠٣/٢٠

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

كما نعرف جميعا أنه قبل ١٢٠ سنة من اليوم في ٢٣ من هـــذا الـــشهر مارس/آذار تحققت نبوءة قرآنية عظيمة قد بشر بها الله تعالى النبيَّ ﷺ، وأنبـــأ بطلوع القمر الذي سيأخذ النور من السراج المنير -الذي هو رســـول ﷺ- وذلك بعد أن تظل الأمة الإسلامية غارقةً في بحر الظلمات لمدة ألف سنة على التوالي، ولن يبقى -في قلوب أغلبية المسلمين- من الإسلام إلا اسمه. وقد قال تعالى في حق هذا القمر الموعود عليه السلام إنه سيظل ينشر النور إلى يوم القيامـــة،

وأن عهده سيدوم دونما انقطاع، وأن الذين سيتربون على يديه سينوّرون قلوب العالم بنور وجمال شريعة سيده ومطاعه ﷺ إلى الأبد. فلقد بدأ الدور الأول لهذه الجماعة التي أقامها هذا الابن البار للنبي ﷺ في ٢٣ مارس ١٨٨٩ حيث خاطبه الله تعالى بوحيه: "إذا عزمت فتوكل على الله، واصنعِ الفُلْكَ بأعيننا ووحينا، الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم".

وقد ترجم عليه السلام هذه الجمل في كتابه "إزالة أوهام" كما يلي:

أي ما دمتَ قد عقدت العزم على هذه الخدمة فتوكل على الله.

ثم قال عليه السلام في مكان آخر:

"لقد قال الله تعالى لي عند تأسيس هذه الجماعة: إن الأرض تموج بطوفان الضلال، فاصنعْ سفينة في هذا الطوفان، فمن ركبها نجا من الغرق، ومن أعرضَ عنها هلك."

باختصار، امتثالا لأمر الله أخذ حضرته عليه السلام البيعةَ من الناس في ٢٣ مارس/ آذار ١٨٨٩، وهكذا ركب مئات السعداء هذه السفينة، حتى بلغ هذا العدد في حياته مئات الألوف. لقد أدى المبايعون حق بيعتهم، وكانت يد الله أيضا فوق أيديهم وعليهم، فظلوا يقطعون أشواط التقدم الروحاني. لا شك أنه قد هبّتْ عليهم عواصف هوجاء من العداء والمعارضة، فعاداهم أقاربهم وأغيارهم حتى استُشهد بعض منهم "بجريرة" البيعة والانضمام إلى جماعته، وأكبر هؤلاء الشهداء هو السيد عبد اللطيف الشهيد الذي قُتل بظلم عظيم بعد فتوى المشايخ وبأمر المِلك، حيث دفنوه في الأرض إلى بطنه ثم رشقوه بالحجارة حتى الموت. ولقد أحيتْ هذه الأحداث ذكرى تلك الفظائع

والاعتداءات التي صُبّتْ على النبي ﷺ وصحابته في القرون الأولى، لكن هذه الجماعة الإلهية ظلت تقطع أشواط التقدم والرقي بانتظام رغم كل الاضطهادات وكل المؤامرات لإثارة الحكومات ضد حضرته عليه السلام. وانتقل حضرته عليه السلام أخيرا إلى رحمة الله تعالى حسب مشيئة الله وقَدرِه في ٢٦ مايو/أيار ١٩٠٨ بعد إنجاز المهمات الموكولة إليه. لقد طمأنه الله تعالى أن الدور الثاني لجماعته سيبدأ في صورة القدرة الثانية (الخلافة الراشدة) التي قد قال عنها المسيح الموعود عليه السلام بنفسه:

"فالحاصل أنه تعالى يُري قسمين من قدرته: أولاً، يُري يدَ قدرته على أيدي الأنبياء أنفسهم، وثانيًا، يُري يدَ قدرته بعد وفاة النبي حين تواجه المحن ويتقوى الأعداء ويظنون أن الأمر الآن قد اختل، ويوقنون أن هذه الجماعة سوف تنمحي، حتى إن أعضاءها أنفسهم يقعون في الحيرة والتردد، وتنقصم ظهورهم، بل ويرتدّ العديد من الأشقياء، عندها يُظهر الله تعالى قدرتَه القوية ثانيةً ويُساند الجماعة المنهارة. فالذي يبقى صامدًا صابرًا حتى اللحظة الأخيرة يرى هذه المعجزة الإلهية." (كتيب "الوصية"، الخزائن الروحانية مجلد ٢٠ ص ٣٠٤)

فحين بدأ هذا الدور الثاني وقع بعض الأشقياء في الشبهات والوساوس – كما كان حضرته عليه السلام قد تنبأ بذلك– ووقعوا أَسْرى لأنانيتهم. فحاول سيدنا الخليفة الأول رضي الله عنه أن ينصحهم بكلمات جلية ساعيًا لإصلاحهم، لكن بعضا منهم لشقاوتهم قد ارتدوا عن جماعة المبايعين عند انتخاب الخليفة الثاني، ولم يحاولوا أن يفهموا أن الله تعالى يساند الجماعةَ المنهارة وهو يُريهم صدق قوله تعالى "يد الله فوق أيديهم"، ولم يُعمِلوا عقولهم ليدركوا أنه لن ينجو من

الغرق -رغم ركوب السفينة- إلا من يظل متمسكا بالقدرة الثانية أيضا، وهي الخلافة وليست مؤسسةَ "صدر أنجمن". إننا لمن السعداء حقًا إذ ركبنا السفينة التي صنعها سيدنا المسيح الموعود عليه السلام ونعيش في مأمن من الغرق ويد الله فوقنا نتيجة تمسُّكنا بالخلافة. إن الدنيا تسقط في الحضيض، بينما يرى المسلمون الأحمديون مشاهد نزول أفضال إلههم القادر ذي القوة المتين. فمن عام ١٩٠٨ إلى يومنا هذا لا يزال العدو يسعى للقضاء على هذه الجماعة بشتى الطرق والمكائد، لكن الله تعالى يحفظ هذه الجماعة من الأخطار عند كل محنة كما يحفظها من محاولاتهم الذميمة. لا تزال الجماعة تنتشر في العالم بسرعة كبيرة حسب وعود الله سبحانه وتعالى، ونار الحسد والعداء أيضا تنتشر وتشتد بنفس السرعة، ويتسع نطاق المعارضة. وحيثما تسنح الفرصة لهؤلاء العلماء المزعومين والمغرضين لا يتورعون عن الاعتداء على المسلمين الأحمديين باسم الله، لكن كل معارضة تتسبب دائمًا في تقوية إيمان كل أحمدي بفضل الله تعالى، لأن الله سبحانه وتعالى قد أخبر سلفًا أن المؤمنين لا بد أن يتعرضوا للمحن والآلام في سبيله تعالى.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "يتبين من القرآن الكريم جليا أن لا بد لتكميل الإيمان مِن أن يتعرض الإنسان للابتلاء، لقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾(العنكبوت:٣).. "فلا بد إذن من الامتحان والاختبار، وكل من ينضم إلى هذه الجماعة لا يمكن أن يأمن الابتلاءَ، ولذلك أصبح كثير من أحبائنا في جهة وآباؤهم في جهة أخرى."

(أي أنهم بسبب اعتناقهم الأحمدية اضطروا للابتعاد عن الآباء والأمهات).

ثم يقول عليه السلام في موضع آخر: "إذا تعرض أحد للابتلاءات الشديدة فصبر عليها لوجه الله، فإنها ترفعه إلى درجة الملائكة. إنما يوصَل الأنبياء بالله تعالى نتيجة هذه الابتلاءات."

ويقول حضرته عليه السلام: "لا يمكن إحراز التقدم دون الابتلاء."

إن هذه هي النصائح والتوجيهات التي تقوي الإيمان والتي ما زال الأحمديون يعملون بها إلى اليوم بفضل الله تعالى، وكل أحمدي يدرك تماما أن المعارضة ضرورية لرقينا إذ هو بمنزلة السماد للزرع.

تكلمت في الخطبة الماضية عن بعض المبايعين الجدد من المجر، الذين أرهبتهم الشرطة بإثارة المفتي -الذي له نفوذ في الحكومة- وساقتْهم إلى مركز الشرطة، وكان فيهم من بايع قبل بضع سنوات فقط. وكنت أرسلتُ إليهم سلامي لأطمئنّ عليهم وسألت عن أحوالهم، فأخبرني الداعية الإسلامي الأحمدي هناك أنه اتصل بكل واحد منهم شخصيا وبلغهم سلامي والرسالة، فكان رد كل واحد منهم أنه بفضل الله سبحانه وتعالى قوي في الإيمان، وأن هذه الآلام لا قيمة لها، حتى فقد بعضهم السيطرة على عواطفه وأخذ في البكاء، وأرسلوا إلي رسالة قائلين: لا تقلق فسنتحمل كل أذى في سبيل الجماعة بإذن الله. كل ما نريده أن تدعو لنا.

إن بعض الناس يسألوننا عن الانقلاب الذي أحدثه المسيح الموعود عليه السلام، فأقول ردا عليهم إذا كان هذا ليس انقلابًا فما معنى الانقلاب إذًا؟ إنهم بعد انضمامهم إلى الأحمدية بدأوا يدركون روحَ التضحية وتعاليمَ القرآن الكريم إدراكا صحيحا. لقد أنشأ حضرته عليه السلام فيهم ذلك الفهم الذي كشف عليهم

الحقيقة أنهم إذا كانوا يريدون التقرب إلى الله ﷻ فلا بد من مواجهة الابتلاءات. لا يمكن لهؤلاء المقيمين في أوروبا أن يتصوروا حدوث مثل هذا الانقلاب ولا سيما في أولئك الذين عاشوا فترة طويلة تحت تأثير الشيوعية. فقد نشأت لهم علاقة قوية بالمسيح الموعود عليه السلام والخلافة. ولا يتأتى ذلك إلا بفضل الله، فهو يكرم الأحمديين بهذا الفضل نتيجة انضمامهم إلى جماعة العاشق الصادق للنبي ﷺ.

إضافة إلى ذلك يتعرض اليوم المبايعون الجدد في الهند أيضا للاضطهاد والاعتداء بكثرة على أيدي المشايخ كالمعتاد، ويشترك معهم المسلمون الآخرون أيضًا بإثارة وتحريض منهم، والحكومة الهندية أيضًا لا تحرك ساكنا ضدهم طمعًا في أصواتهم في الانتخابات القادمة قريبا، أما الأحمديون فلا يشكّلون قوة عندهم. لكن يجب أن يتذكر هؤلاء المعتدون وكذلك المسؤولون الذين يُغمضون عيونهم على تلك الاعتداءات أن الأحمديين لا يملكون أي قوة مادية، لكن الله ﷻ معهم، فهو مولانا، وعندما يأتي لنصرنا فسوف ينسف كل شيء نسفا، وعندما يُظهر قدره وقضاءه فلا يَثبت أمامه شيء. فعلى الأحمديين في الهند أن يتمسكوا بأهداب الصبر ويتحلوا بالهدوء، ويركزوا على الدعاء ويقوّوا علاقتهم بربهم أكثر.

علاوة على ذلك، إن معارضة الأحمديين في باكستان أيضا على أوجها في هذه الأيام. إن تصرفات الحكومة والمشايخ تبعث على الحيرة في الواقع. لقد بدأ المشايخ المعارضة في شبه القارة الهندية منذ بعثة المسيح الموعود عليه السلام، فسعوا بأنفسهم لإلحاق الأضرار بالجماعة، كما أثاروا الآخرين أيضا

وساعدوهم ليلحقوا بها الضرر ويقضوا عليها بأي طريقة ممكنة، إلا أن الجماعة لم تزل تتقدم بعد كل هذه المحاولات، ولكن هؤلاء المعارضين لم يدركوا أن هذا يؤكد أن الجماعة لم يُقِمْها أي إنسان، بل إن الله ﷻ هو من أقامها. بل الحق إن هذه الجماعة آية من آيات الله ﷻ، فقد بينت لكم في مستهل الخطبة أن نبوءة عظيمة قد تحققت بوجود هذه الجماعة، وهي برهان ساطع على تحقُّق بشارة الله الجليلة. ولهذا أقول لهؤلاء القوم أن يُعمِلوا عقولهم ويكفّوا عن محاربة الله ﷻ، ويتوبوا إلى الله ويستغفروه ويصبحوا من أنصار المبعوث من الله تعالى. لكن يبدو أن على عقولهم وعيونهم غشاوة، الأمر الذي يدفعهم إلى صب الظلم على عباد الله باسمه تعالى وباسم الإسلام، لكنهم ينسون أنه حين تبلغ الاعتداءات على عباد الله ذروتها، فإنهم ينادون: "متى نصر الله؟" فيجيبهم الله تعالى بقوله: "إن نصر الله قريب". فالأمر الواقع أن الاضطهاد الذي يتعرض له الأحمديون يزيدهم قربًا من الله تعالى.

عند تقسيم الهند انتقل إلى باكستان أغلبيةُ هؤلاء المشايخ المزعومين الذين يحبون الشر في الواقع، فجعلوا أبناء الأحمدية عرضة لاضطهادهم كما تسمعون كل يوم، وأثاروا الفتن فعمّ الفسادُ والفوضى البلادَ كما ترون. إن تصرفاتهم المشينة ضد الأحمديين معروفة للجميع، لكنهم بالإضافة إلى ذلك يسيئون إلى سمعة باكستان أيضا. فهؤلاء الذين يتظاهرون اليوم بحبهم العميق للبلد ويقولون للأحمديين إن أمامهم خيارين اثنين لا ثالث لهما؛ فإما أن يرتدوا أو يخرجوا من البلد أو يستعدوا للموت.

ومن منتهى الظلم أنهم يمارسون كل هذا الاضطهاد باسم الإسلام واسم رحمة للعالمين ﷺ، حيث يعلنون أنهم لا يقومون بكل هذا إلا بدافع الغيرة الدينية والحفاظ على شرف أفضل الرسل وخاتم الأنبياء ﷺ، لأن هذه الدولة أسِّست باسم الإسلام وهي الأكثرُ حاجة لإبداء الغيرة الدينية فيها بهذا الشكل، لذا فمن مقتضى الغيرة الدينية – على حد تعبيرهم- أن يقتلوا عباد الله باسمه ﷻ. والواقع أن غيرتهم هذه لا تبلغ عُشْرَ مِعشار الغيرة التي يُبديها الأحمديون في العالم كله على شرف النبي ﷺ عمليًا، ولا تبلغ تضحيات هؤلاء القوم شَأْوَ التضحيات التي يقدمها الأحمديون لتبليغ رسالة الإسلام في كل أنحاء العالم. إن جهود هؤلاء المشايخ في مجال نشر الإسلام معدومة تقريبا على رغم المساعدة التي تقدمها لهم عديد من البلاد الإسلامية ولاسيما الغنية بثروات النفط، ذلك لأنهم ينفقون تلك المعونة لمصالحهم الشخصية ويملأون بها كنوزهم، أو يستخدمونها في أعمال الإرهاب والظلم والبربرية. إن هؤلاء المشايخ يدَّعون اليوم أنهم أحقُّ بباكستان من غيرهم، وأنهم لا يتحملون وجود القاديانيين بعقائدهم في هذا البلد الذي هو حصن الإسلام هذا، فأقول لهم: يا مَن تبدون اليوم حبَّكم وإخلاصكم لباكستان وتدَّعون أنكم أحق به من غيركم.. لقد عارضتم بشدةٍ حتى فكرة تأسيسها حين كان الأحمديون يبذلون لتأسيس باكستان قصارى جهودهم التي يعترف بها جميع الشرفاء.

أقرأ عليكم بعض تصريحات الشرفاء عما بذلتْه الجماعة الإسلامية الأحمدية من جهود للدفاع عن حقوق المسلمين –علمًا أن الثالث والعشرين من مارس هو نفسه عيد تأسيس باكستان أيضا- ليعلم الشرفاء منهم والذين يجهلون

الحقائق ما بذلته الجماعة من جهود من أجل مسلمي الهند وباكستان، لأن بعضهم يلعبون في أيدي المشايخ فقط ولا يعرفون تاريخ باكستان أيضا.

هناك صحفي بارز اسمه مولانا محمد علي جوهر، وقد كتب في جريدته "همدرد" الصادرة في ٢٦ سبتمبر ١٩٢٧ ما يلي:

"سيكون من نكران الجميل إذا لم نذكر في هذه السطور جناب الميرزا بشير الدين محمود أحمد وجماعتَه المنسّقة تنسيقا محكما، والذي كرس كل جهوده لخير المسلمين بعيدا عن الاختلاف في العقيدة.... والوقت ليس بعيدا حين يصبح أسلوب هذه الفرقة المنسقة نبراسًا لجمهور المسلمين وخاصة لأولئك الذين تعودوا إطلاق ادّعاءات عالية ظاهريا ولكن جوفاء في سبيل خدمة الإسلام قابعين في المساجد." (جريدة همدرد، عدد ١٩٢٧/٩/٢٦، نقلاً عن كتاب تعمير وترقي باكستان اور جماعت أحمدية ص ٨)

ثم هناك صحفي بارز آخر وكان زعيما معروفا للمسلمين اسمه مولانا عبد المجيد سالك، فكتب: لقد أسدى جناب الميرزا بشير الدين محمود أحمد للمسلمين خدمة عظيمة بهذا التعليق (*يشير إلى ما كتبه حضرته معلقًا على حالة المسلمين آنذاك*). ولقد أنجز سيادته تلك المهمة التي كان من واجب الجماعات الإسلامية الكبيرة أن تقوم بإنجازها. (جريدة "انقلاب" ١٩٣٠/١١/١٦، نقلاً عن كتاب تعمير وترقي باكستان اور جماعت أحمدية ص ٩)

ويعرف الجميع أن للقائد الأعظم محمد علي جناح دورًا رئيسًا في تأسيس باكستان. لقد أتى عليه زمان انتقل فيه إلى بريطانيا يائسا من الأوضاع، وقد كتب نفسه: "بدأت أشعر وكأني لا أستطيع الآن أن أساعد أهل الهند، إذ لا

أقدر على خلق أي تغيير مُرضٍ في تفكير الهنود ولا أستطيع تبصيرَ المسلمين. وفي الأخير قررت الاستقرار في لندن." (القائد الأعظم وعهده، لرئيس أحمد الجعفري ص ١٩٢، نقلاً عن كتاب تعمير وترقي باكستان اور جماعت أحمدية ص ٩)

فأصيب مسلمو الهند بخيبة الأمل، وكانت الجماعة الإسلامية الأحمدية الأكثر مؤاساةً لهم، وعلى رأسهم سيدنا الخليفة الثاني ﷺ. فبذل جهودا جبارة عن طريق مولانا عبد الرحيم درد ﷺ – الداعية الإسلامي الأحمدي في لندن يومذاك – لإقناع القائد الأعظم بأن يعود إلى الهند وينزل في حلبة سياسة الهند. وبالفعل قد بذل مولانا عبد الرحيم درد جهودا كبيرة ونجح في إقناع القائد الأعظم بالعودة. وقد اعترف القائد الأعظم نفسه أن فصاحة الداعية الأحمدي وتشجيعه لم تترك له مجالا للفرار.

وهناك مؤرخ وصحفي غير أحمدي م. ش♦ وقد كتب أن المستر لياقت علي خان والإمام عبد الرحيم درد هما وحدهما أقنعا محمد علي جناح بأن يغيِّر قراره ويعود إلى بلده ليؤدي دوره في سياسة البلد، فعاد المستر جناح إلى الهند في عام ١٩٣٤، ورشح نفسه للعضوية في البرلمان الهندي المركزي، وانتُخب بلا منافس. (باكستان تائمز ١٩٨١/٩/١١، نقلاً عن كتاب تعمير وترقي باكستان اور جماعت أحمدية ص ١٠)

فقد كتب القاضي منير الذي كان رئيسا لمحكمة التحقيق التي شكِّلت في عام ١٩٥٣: "لقد أُلصِق بالأحمديين تهمٌ لا أساس لها من الصحة، فمثلاً قيل إن لجنة تحديد الحدود قد أصدرت قرارا بضم محافظة غورداسبور إلى الهند

♦ هو محمد شفيع، وكان يستخدم اسمه مختزلاً (المترجم).

بسبب تصرفات الأحمديين ونتيجة أدلة قدّمها ظفر الله خان الذي وكّله القائد الأعظم (مؤسس باكستان) لتقديم قضية رابطة المسلمين (مسلم ليغ)♦ أمام هذه اللجنة. ولكن رئيس هذه المحكمة -الذي كان عضوا في تلك اللجنة- يرى من واجبه أن يبدي عواطف الشكر والامتنان على المجهودات الجبارة التي قام بها شودري ظفر الله خان بصدد قضية غورداسبور. هذه الحقيقة واضحة جلية في أوراق لجنة تحديد الحدود، وبوسع كل من يهتم بهذه القضية أن يطالع هذه السجلات. لقد قام السير ظفر الله خانْ بخدمات نزيهة للمسلمين، ومع ذلك فقد ذكرت بعض الجماعات تلك الخدمات في محكمة التحقيق بأسلوب مزور وقح جدا يعكس نكران الجميل." (تقرير محكمة التحقيق ص ٣٩٥، الطبعة الحديثة)

فالقاضي يرى أن شودري محمد ظفر الله خان قام بخدمات عظيمة، غير أن البيانات التي أدلى بها غير الأحمديين بهذا الخصوص أمام المحكمة تنم عن وقاحة سافرة.

لقد قدمت أمامكم بعض الأمثلة على الجهود التي قدمها سيدنا الخليفة الثاني ﷺ والجماعة الإسلامية الأحمدية بناء على توجيهاته بصدد إقامة الدولة المستقلة التي تأسست وسميت "باكستان". وسوف يشهد التاريخ دائما أن الخلافة الإسلامية الأحمدية كانت -إلى جانب اهتمامها بتقدم الجماعة روحانيا وماديا وأخلاقيا- تقوم بواجبها تجاه الأمة الإسلامية كلما دعت إليه الحاجة،

♦ Muslim League، وهو الحزب السياسي الإسلامي الوحيد في الهند الداعي إلى تأسيس باكستان تحت قيادة محمد علي جناح.

سواء كان الأمر يتعلق بتحرير كشمير أو تحرير فلسطين أو حقوق المسلمين في القارة الهندية. وتاريخ الجماعة الإسلامية الأحمدية أيضا يشهد على أنها كانت دائما في طلائع المدافعين عن حقوق المسلمين.

تعالوا نر الآن الدور الذي لعبه هؤلاء المشايخ الذين يقولون اليوم إن باكستان بلدنا وقد تأسست بجهودنا.

أقرأُ عليكم بعضا من بياناتهم التي وردت في تقرير محكمة التحقيق نفسه. لقد ورد فيه أن عطاء الله شاه البخاري الذي كان زعيم الأحراريين قال متحديًا (مَن يريد إقامة دولة باكستان): "لم تلد أُمٌّ بعدُ شخصًا يستطيع خَلْقَ الباء من باكستان".

وورد في التقرير نفسه أن زعيم الأحراريين، أمير الشريعة الشيخ عطاء الله البخاري، قال في أحد خطاباته في لاهور أيام المفسدة: "إن باكستان كمومسة رضي بها الأحراريون على مضض." (تقرير محكمة التحقيق ص ٣٩٨، الطبعة الحديثة)، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ثم يقول عطاء الله شاه البخاري: "من أدلى بصوته لصالح حزب "رابطة المسلمين" فهو خنزير ومن آكلي الخنازير." (بيان عطاء الله شاه البخاري، نقلا عن "جمنستان" للمولوي ظفر علي خان ص ١٦٥ طبعة ١٩٤٤)

وقد ورد في تقرير محكمة التحقيق: "لقد عُقدت جلسة الهيئة الإدارية لمجلس الأحرار في دلهي بتاريخ ٣ آذار/مارس ١٩٤٠، وتم الاتفاق فيها على قرار يستنكر اقتراح تأسيس باكستان. وبعد ذلك أطلق بعض الزعماء الأحراريين

في خطاباتهم على باكستان (أي بلد الأطهار) اسم "بليدستان" (أي بلد النجساء)." (تقرير محكمة التحقيق ص ٢٨، الطبعة الحديثة)

وورد في تقرير المحكمة أيضا: كانت "الجماعة" (أي الجماعة الإسلامية التي يتزعمها المودودي) تعارض علنًا أفكار "رابطة المسلمين" (Muslim League) حول باكستان. ومنذ أن تأسست باكستان، (وتعني بلد الأطهار) تُسمّيها الجماعة المودودية "ناباكستان" (أي بلد النجساء)، ولا زالت هذه الجماعة تعارض نظام الحكومة الحالي وحكامها. وليس بين كتابات هذه الجماعة التي قُدمت إلينا عبارة واحدة تؤيد -ولو بإشارة خفيفة- فكرةَ تأسيس باكستان، بل على عكس ذلك هناك عبارات تضم افتراضات كثيرة أيضا.. تخالف كلها النهج الذي أسست عليه باكستان والذي لا زالت عليه إلى الآن." (تقرير محكمة التحقيق ص ٣٩٨، الطبعة الحديثة)

ثم هناك بيان آخر للمودودي يقول فيه: "والذين يظنون أنّه لو تحررتِ المناطقُ ذات الأغلبية المسلمة من سيطرة الأغلبية الهندوسية وسادها النظامُ الديمقراطي، لقامت فيها الحكومة الإلهيّة، فظَنُّهم هذا باطل. وكل ما سيحصل نتيجة لذلك هو أنّها ستكون هناك حكومة كافرة للمسلمين، وتسميتُها بالحكومة الإلهية إنّما هي إساءة لهذا الاسم الطاهر." (المسلمون والعراك السياسي الحالي ج ٣ ص١١٧، نقلاً عن ماضي الجماعة الإسلامية المودودية وحالها)

والمحاولات التي يقوم بها هؤلاء القوم اليوم للسيطرة على هذه الحكومة الكافرة بادية للجميع.

إن نظريات هؤلاء القوم عن باكستان.. الذين يقدمون أنفسهم اليوم على أنهم رأس من ينتمون إليها وحماتها.. لواضحةٌ جلية من بياناتهم هذه وكذلك من تعليقات القاضي عليها. وكل حكومة سياسية تصل إلى سدة السلطة (في باكستان) تعتبر هؤلاء المشايخ قوة يحسب لها الحساب وتحاول التواطؤ معهم. وإن أهم عمل في جدول أعمال هؤلاء المشايخ هو بذل كل ما في وسعهم ضد الأحمديين.

لقد نشبت الفتن في عام ١٩٥٣، ولكن كان في ذلك الوقت أناس يحبون العدل والقسط إلى حد ما، فلم تتحقق أمنية المشايخ إلى الدرجة التي كانوا ينوون. أما الحكومة القائمة في عام ١٩٧٤ فقد وقع في زمنها من الاضطهاد والبربرية على الأحمديين باسم الإسلام بتواطؤ مع المشايخ ما سيكتبه المؤرخ العادل في المستقبل فصولاً سوداء حين يكتب تاريخ باكستان.

ثم في عام ١٩٨٤ أجرى الدكتاتور تعديلات جديدة في قانون أصدره مجلس الشعب في عام ١٩٧٤ وجعله أشد قسوة لكي يقضي على الأحمدية، وقال بأعلى صوته إنه سيقلع هذا السرطان (مشيرا إلى الجماعة الإسلامية الأحمدية). ولكن ماذا كانت النتيجة؟ لا تزال الأحمدية تحرز تقدما تلو تقدم، أما هؤلاء فلم يبق لهم أثر، أو ما زالوا يُسحقون في رحى قدر الله تعالى. ورغم كل هذه الفظائع التي صُبَّت على الجماعة الإسلامية الأحمدية فقد أخرجها الله تعالى من تلك المحن رافعةَ الرأس ببركة الخلافة واجتماعِها على يد واحدة. و لم تضرب الجماعة أمثلة الصبر الرائع في تلك الظروف القاسية.. ولا تزال تضربها إلى اليوم.. إلا لتمسكها بالخلافة، وإنها تدل على أن الذين عقدوا عهد البيعة

مع المسيح الموعود عليه السلام كانوا ولا يزالون يبذلون كل ما في وسعهم للوفاء به. ويجب أن يتذكر أصحاب الحكومة الباكستانية الحالية جيدا.. سواء في المركز أو في الأقاليم.. أنهم إذا كانوا يهتمون ببقاء باكستان، الأمر الذي يحاول من أجله كل مواطن شريف ويدعو أيضا، فعليهم أن يؤسسوا باكستان التي كان القائد الأعظم (محمد علي جناح) يسعى لتأسيسها، بدلا من رفع جدران الكراهية والنفور وسفك دماء الآخرين باسم الدين.

تعالوا معي نرَ ما يقوله القائد الأعظم ثم انظروا إلى القرار الذي اتخذه مجلس الشعب الباكستاني في ١٩٧٤. لقد قال القائد الأعظم في أول خطاب له في المجلس التشريعي عام ١٩٤٧:

إذا كنا نريد أن نجعل هذه الدولة العظيمة باكستانَ دولةً مزدهرة فلا بد لنا من أن نركز جُلَّ اهتمامنا على رفاهية الشعب ورخائهم، وخاصةً عامةَ المواطنين وفقرائهم. فلو عملتم بروح التعاون المتبادل والاشتراك في العمل لانكسرت خلال فترة وجيزة سلاسلُ النزعات الإقليمية والمذهبية والعصبية وغيرها.... إن دولتنا قائمة على عدم التمييز، فلن يكون فيها تمييز بين فِرقة وأخرى، كما لن يكون فيها تمييز طائفي أو عقدي. إننا نعمل بمبدأ أننا جميعا مواطنون متساوون في دولة واحدة.

أنتم أحرارٌ. أنتم أحرار لأن تذهبوا إلى معابدكم، وأحرار لتذهبوا إلى مساجدكم، أو تذهبوا إلى أي من دور عبادتكم داخل دولة باكستان. أيا كان انتماؤكم من حيث المذهب والعقيدة أو الطائفة، فلا علاقة له بقضايا الدولة. أرى أن نجعل هذا الأمر نصب أعيننا، فسترون أنه مع مرور الوقت لن

يبقى الهندوسي هندوسيا، ولن يبقى المسلم مسلما، لا أقول هذا من حيث المذهب والدين.. لأن ذلك يتعلق بعقيدة شخصية لكل واحد.. بل أقول هذا من المنطلق السياسي ومن حيث كونه مواطنا لهذه الدولة." (أفكار القائد الأعظم، للمؤلف محمود عاصم، الناشر مكتبة عالية ابيك رود لاهور)

هذه هي الرؤية التي قدمها القائد الأعظم، أما القرارُ الذي أصدره مجلس الشعب الباكستاني في عام ١٩٧٤ فهو مناقض لهذه الرؤية تماما. هذه كانت أفكار مؤسس باكستان عن دَور مجالس الشعب وعن كيفية إدارتها مهامّ الحكومة. وكما قلت من قبل، ليس من صلاحية البرلمانات أن تحدد دين الناس وعقائدهم وطرق عبادتهم. لو أدركت الحكومة في باكستان المبدأ الذي وجّه إليه القائد الأعظم وبدأت العمل به لأحرزت باكستان تقدمًا بعد تقدم، وانهارت جدران الطائفية والعنصرية، وعندها فقط سيتمكن أهل باكستان من أن يروا بلادهم مزدهرة كما أرادها القائد الأعظم. فعلى الساسة أن يتعلموا درسا من تاريخهم. إن الإسلام لا يبيح لأحد أن يحدد دين غيره أو جزئياتِه، ولا يسمح لأحد أن يفرض عقائده على غيره، كما لم يسمح به ذلك الشخص العظيم الذي أسس دولة عظيمة للمسلمين. لا بد أن يُعطى كل مواطن في باكستان حقوقا متساوية بصفته مواطنا، مثل حق التصويت وحق الوظيفة وحق اختيار الدين والمذهب. وفيما يتعلق بالقانون فلا بد أن يكون هناك قانون واحد للجميع ويجب تطبيقه بالعدل، عندها سيسود البلادَ الأمنُ والسلامُ. على الحكومات أن تتعلم درسًا مما نجم عن القرار الذي اتُّخذ عام ١٩٧٤ وعما أضيف إليه من تعديلات عام ١٩٨٤، وعما اتُّخِذَ ضد

الأحمديين من إجراءات غاشمة وعما فُرض عليهم من أنواع الحظر. إن البلد منذ ذلك الحين عرضة للانحطاط باستمرار، ولا نرى أي تحسن مطلقا، فلو تقدم البلد خطوة تراجع ثلاث خطوات. لا شك أن الأحمديين سوف يبذلون كل ما بوسعهم من أجل ازدهار باكستان ويدعون له أيضا رغم كل الاضطهاد، ولكن يجب أن يتذكر هؤلاء الظالمون أن قدر الله سوف ينتقم منهم حتمًا في يوم من الأيام. يُستشهَد الأحمديون بين حين وآخر تحت مظلة القانون وباسم الإسلام، ولكن اعلموا أن هذه الدماء المهراقة لن تذهب سدى أبدًا. تذكروا قول الله تعالى دائما: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(النساء:٩٤)

فاتقوا عذاب الله واخشَوْه. فيما يتعلق بالإيمان -إذا كانوا يقولون إن الأحمديين ليسوا بمسلمين- فقد ورد عنه في الحديث الشريف: أفضل جزء للإيمان هو: لا إله إلا الله. فلم يقل النبي ﷺ هنا إن الإيمان هو النطق بالشهادة كاملة، بل قال إن قول "لا إله إلا الله" هو أفضل الإيمان.

ثم انظروا إلى الحادث الذي حصل في الحرب، حيث تمكّن صحابي من أحد الأعداء فنطق الأخير بالشهادة ومع ذلك قتله الصحابي، وحين بلغ ذلك النبيَّ قال له مرارا: أَفَلا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّى تَعْلَمَ قَالَهَا خوفًا أو بإخلاص القلب؟ يقول ذلك الصحابي: وَدِدْتُ بسبب غضب النبيِّ ﷺ أَنِّي لَمْ أُسْلِمْ إِلا يَوْمَئِذٍ. ومع ذلك فإن هؤلاء القوم يلفّقون مِن عند أنفسهم تعريفا للمسلم ولا يرتدعون عن قتل الناطقين بالشهادتين.

قبل بضعة أيام استُشهد زوجان شابان في ملتان بباكستان وقُتلا بكل وحشية، وليست جريمتهما إلا أنهما قد آمَنَا بإمام الزمان. كانا طبيبين محبوبين جدا عند الناس. اسم الزوج الشهيد الدكتور "شيراز"، وقد بلغ من عمره ٣٧ عاما، واسم زوجته الدكتورة نورين شيراز وعمرها ٢٨ عاما. وأظن أنها أصغر الشهيدات الأحمديات سنًّا. هؤلاء الظالمون لا علاقة لهم بالقيم الإنسانية من قريب ولا بعيد، إذ يقتلون بلا هوادة أناسا نافعين للبشرية، خادمين لخلق الله، ويخدمون مرضاهم. أيها المعارضون تذكروا جيدا أن الأحمديين يُستشهدون لهدف نبيل، أما أنتم فإن الله القادر ينتقم منكم لإنكاركم الحق الذي ظهر بمجيء الخادم الصادق للنبي ﷺ، حيث عمت الفوضى البلاد، ويُقتل بسببها عشرات من الناس يوميا. إذا كنتم لا تعتبروننا مسلمين فهذا شأنكم، ولكن ما هذا القتل وسفك الدماء الذي يتعرض له المسلمون على أيدي المسلمين؟ الله وحده يعلم كيف سيعامِل هؤلاء الظالمين -الذين لا يخافون الله مطلقًا- كما قال في الآية التي تلوتها عليكم آنفا. رحمهم الله.

ففي الفترة الأخيرة نشبت المعارك بين المتمردين في منطقة "سوات" والحكومةِ أو الجيشِ، ثم استسلمت الحكومة، وأعلن المشايخ المسيطرون على المنطقة تطبيق قانون الشريعة في زعمهم هناك، وأقاموا المحاكم الشرعية أيضا، ثم أعلنوا ألا يغامر القضاة الحكوميون بالمجيء إلى هنا.

وأنا أقول: على الحكومة أن تتذكر أن هذا الأمر الذي بدأ الآن هناك لن يتوقف هنالك، بل إن موجة الفساد والفوضى سوف تحيط بالبلد كله وتؤدي إلى تشويه سمعته أكثر. كاد البلد يصَّنَف في قائمة الدول الإرهابية بناءً على

صورته المنتشرة في العالم كله. فقبل بضعة أيام قد أدلى وزير الخارجية البريطاني أيضا ببيان أن الحكومة الباكستانية إذا لم تتدارك الوضع السائد هناك فستُعتبر باكستان من البلاد الإرهابية.

إن المشايخ الذين كانوا يطلقون على باكستان "بليدستان" (أي بلد الأنجاس) يكادون ينجحون في مساعيهم المزعومة على ما يبدو. ولو بقي البلد في أيديهم فلا ندري هل سيبقى البلد أيضا قائما أم لا. رحمهم الله تعالى.

لقد ظل خلفاء الجماعة الإسلامية الأحمدية يحذِّرون الحكومات دائما من المشايخ، ويقولون لهم إنكم لو أركبتموهم على رؤوسكم مرة لظلوا راكبين و لم يترلوا أبدا. فمن ناحية يعتبر الساسة في باكستان أنفسهم مخلصين للبلاد ويدّعون أنهم جهابذة السياسة، ومن ناحية ثانية لا يدركون الحقيقة المروعة أن المشايخ يدفعون بالبلاد إلى الدمار والهلاك، لذا فإن إشراكهم في العمل.. أيا كان نوعه.. سوف يضر بالحكومة والبلد أيضا. فلا نملك إلا الدعاء أن يحمي الله هذا البلد.

أما فيما يتعلق بمحاولات المشايخ وظنهم أنهم -بقتل الأحمديين- يستطيعون الحيلولة دون تقدم الجماعة، فهذا ظن باطل. كلا بل، كما قلتُ، إن الأحمدية تقدمت دائما بعد كل معارضة. فالله الذي أمر بصنع هذه السفينة سوف يتولى حمايتها أيضا، وستظل هذه السفينة تمخر بسلام على الدوام. وفيما يتعلق باستشهاد المسلمين الأحمديين هنا وهناك أو الأضرارِ التي تُلحق بهم، فلا مناص من هذه الابتلاءات، أما الشهداء فينالون حياة أبدية بحسب وعد الله ويفوزون بحبه ﷻ.

على أية حال، يجب على الأحمديين، ولا سيما الأحمديين في باكستان، أن يركِّزوا على الدعاء كثيرا، لأن أدعية الأحمديين هي وحدها التي يمكن أن تجذب فضل الله تعالى وتنقذ هذا البلد من الوقوع في الحفرة التي بلغ الآن شَفاها. لقد لعبت الجماعة الإسلامية الأحمدية دورا كبيرا في تأسيس باكستان، وستلعب أدعيتها دورها في إنقاذها أيضا بإذن الله تعالى. وفَّقنا الله لذلك.

الآن أذكر بإيجاز بياناتِ الشهيدينِ المذكورين آنفًا. عاد الشهيدان إلى بيتهما بعد العمل في حوالي الساعة الثالثة والربع بعد الظهر بتاريخ ١٤ آذار/مارس، ويبدو أن بعض الناس نصبوا كمينًا لهما في بيتهما فقتلوهما بقسوة. وُجد جثمان الدكتور "شيراز باجوه" في غرفة نومه، وكانت يداه مربوطتين على الظهر وعيناه معصوبتين، وقد دُسّ القطن في فمه، وآثار الحبل بادية في عنقه، كما وُجدت حبال كثيرة قريبًا منه، أي أنه قد قُتل خنقًا. وعندما جاءت خادمتهما للعمل في البيت وجدتهما مقتولين، وقالت إن جثة الشهيد كانت معلقة بالمروحة، أما زوجته فكانت مرمية على السجادة مربوطة اليدين، وقد دُسَّ القماشُ في فمها.

كلاهما كان موصيا. كان الدكتور متخصصا في طب العيون، وكان يعمل في مستشفي مؤسسة "وابدا" (مؤسسة المياه والكهرباء)، أما زوجته الدكتورة نورين فكانت تعمل في مستشفى الأطفال. كانا محبوبين جدا لدى الأحمديين وغيرهم على حد سواء. كانا يتحليان بل يتميزان بطبيعة هادئة ومواسية للجميع. لقد سبق أن عمل الدكتور الشهيد في مستشفى "فضل عمر" بربوة أيضا بعض الوقت.

إن المنطقة التي كانا يسكنان فيها محمية حماية محكمة ومحروسة بحراسة مشددة إذ هي محاطة بجدران منصوبة فوقها أسلاك شائكة. وإن وقوع الجريمة داخل هذه المنطقة يعني أنها مؤامرة مدروسة إذ لا يمكن لأحد أن يدخل المنطقة بدون خضوعه للتحقيق والتفتيش. ووقوع الجريمة بهذه الصورة يعني أن كلهم كانوا مشتركين فيها.

كان الشهيد طبيبا بارعا، وقد حاز في عام ١٩٩٨ على جائزة في كتابة المقالات. لم يكن لديه أولاد بعد. كان شابا بالغا من العمر ٣٧ عاما فقط. كما لم تبلغ زوجته إلا ٢٨ عامًا من عمرها، وقد تزوجا قبل فترة وجيزة. سأصلي عليهما صلاة الغائب بعد صلاة الجمعة. وإلى جانب جنازتهما هناك جنازات أخرى أيضا، أوّلها للدكتور أسلم الجهانغيري الذي كان أمير الجماعة في محافظة هرييور في منطقة هزاره بباكستان فترة طويلة، وقد توفِّي بتاريخ ١٥ آذار/مارس. وقد سبق أن خدم في سيراليون تحت مشروع "نصرة جهان". تعرض لمحاولة الاغتيال قبل بضعة شهور حيث هاجمه المعتدي بالسكين قائلا: لقد جئت لأقتلك لانتمائك إلى الأحمدية. فأصيب بجروح، ولكن الله أنقذه حيث اجتمع الناس حوله. كان بالغا من العمر ٧٤ عاما، ويبدو أنه ظل يزداد ضعفا على ضعف بسبب تلك الجروح، كما كان مريضا أيضا، فأصيب بنوبة قلبية أدت إلى وفاته. كان موصيا فدُفن في بهشتي مقبرة في ربوة.

والجنازة الأخرى هي للسيدة ناصرة بيغم زوجة ميان شريف أحمد. كانت المرحومة بنت السيد عزيز الله شاه وأخت السيدة "مهر آبا"، فهكذا كانت

بنت خال الخليفة الرابع رحمه الله. كانت سيدة مخلصة جدا. ندعو الله تعالى أن يرفع درجاتهم جميعا ويقرّبهم إليه زلفى، ويوفق ذويهم للاستمرار في حسناتهم بعدهم، آمين.